الحديث الثاني: رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

***خلاصة*—هذا البحث يبحث في الحديث الثاني: رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.**

الكلمات الافتتاحية: الحديث الثاني، رؤية المؤمنين، ربهم، يوم القيامة.

I. *المقدمة*

التعرف على الحديث الثاني: رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

II. موضوع المقالة

تخريج الحديث : وهذه الأحاديث متواترة، رواه أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن، فمنها: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ : ((أن ناسًا قالوا : يا رَسُول الله، هل نرى ربنا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُول الله ε هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رَسُول الله، قَالَ: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب؟ قالوا : لا، قَالَ : فإنكم ترونه كذلك)). الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله.

وحديث أبي سعيد الخدري أيضًا في الصحيحين نظيره.

وحديث جرير بن عبد الله البجلي قَالَ : ((كنا جلوسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إِلَى القمر ليلة أربع عشرة، فقَالَ : إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته)). الحديث أخرجاه في "الصحيحين".

وحديث صهيب رضي الله عنه المتقدم، رواه مسلم وغيره.

وحديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم - تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إلا رداء الكبرياء عَلَى وجهه في جنة عدن)). أخرجاه في "الصحيحين".

ومن حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: ((وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن : ألم أبعث إليك رسولًا، فيبلغك؟ فَيَقُولُ : بلى يا رب، فَيَقُولُ : ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ ! فَيَقُولُ: بلى يا رب)). الحديث أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه.

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرَّسُول صلى الله عليه وسلم قالها.

وجه الإشكال في الحديث: وقد أنكرت بعض الطوائف رؤية الله في الآخرة، وهم المعتزلة والخوارج وطوائف من المُرجئة وبعض الزيدية . وأما الأشعرية فإنهم يثبتون الرؤية بالأبصار في الآخرة، ولكن دون مقابلة ودون إثبات للفوقية لله تعالى، كما أثبت الله لنفسه ، كما تقدّمت في بحث صفة الاستواء أدلةٌ قاطعة في ثبوت الفوقية والعلو لله تعالى، وإثبات الرؤية مع نفي الفوقية، فيه نوعٌ من الغموض وعدم الوضوح ؛ إذ لا يعقل إثبات موجود في الخارج ووجوده حقيقي، وإثبات رؤية بالأبصار، ثم القول إنه ليس فوق الرائي أو على يمينه أو على يساره أو تحته . هذا كلامٌ يردُّه كل من يسمعه وهو يعقل ما يسمع.

شبهات أهل البدع: وأما بالنسبة للشبهات والإشكالات التي تمسّك بها أهل البدع والضلال في نفي الرؤية عن الله تعالى، فهي حججٌ واهية داحضة، لا تقوم على مستند صحيح لا من عقل، ولا من نقل.

رد على الشبهات: وقد لخّص الإمام ابن قتيبة أهم هذه الشبهات وفندها، وذلك حيث قال: "قالوا: رويتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته))، قالوا : وليس يجوز في حجة العقل أن يكون الخالق يشبه المخلوق في شيء من الصفات، قالوا : فإن كان هذا الحديث صحيحًا، فالرؤية فيه بمعنى العلم.

قال أبو محمد بن قتيبة: "ونحن نقول: إن هذا الحديث صحيحٌ، لا يجوز على مثله الكذب؛ لتتابع الروايات عن الثقات به من وجوه كثيرة، ولو كان يجوز أن يكون مثله كذبًا؛ جاز أن يكون كل ما نحن عليه من أمور ديننا في التشهد الذي لم نعلمه إلا بالخبر، وفي صدقة النعم وزكاة الناضّ من الأموال والطلاق والعتاق، وأشباه ذلك من الأمور التي وصل إلينا علمها بالخبر، ولم يأتِ لها بيان في الكتاب باطلًا".

فليس ناقضًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ترون ربكم يوم القيامة)) لأنه أراد -جل وعز- في الدنيا، وقال لموسى عليه الصلاة والسلام: يريد في الدنيا؛ لأنه -جل وعز- احتجب عن جميع خلقه في الدنيا، ويتجلى لهم يوم الحساب، ويوم الجزاء والقصاص.

فيراه المؤمنون كما يرون القمر في ليلة البدر، ولا يختلفون فيه، كما لا يختلفون في القمر، ولم يقع التشبيه بها على كل حالات القمر في التدوير والمسير والحدود وغير ذلك، وإنما وقع التشبيه بها على أنا ننظر إليه كما ننظر إلى القمر ليلة البدر، لا يختلف في ذلك كما لا يختلف في القمر، والعرب تضرب المثل بالقمر في الشهرة والظهور، فيقولون : هذا أبين من الشمس، ومن فلق الصبح وأشهر من القمر، قال ذو الرمة:

وقد بهرت فما تخفَى على أحد إلا على أح د لا يعرف القمرا

وقوله في الحديث: ((لا تضامون في رؤيته)) دليل؛ لأن التضام من الناس يكون في أول الشهر عند طلبهم الهلال، فيجتمعون ويقول واحد : هو ذاك هو ذاك، ويقول آخر : ليس به وليس القمر كذلك؛ لأن كل واحد يراه بمكانه، ولا يحتاج إلى أن ينضم إلى غيره لطلبه، وحديث رسول الله ε قاضٍ على الكتاب ومبين له، فلما قال الله تعالى : {ٿ ٹ ٹ } وجاء عن رسول الله ε بالصحيح من الخبر : ((ترون ربكم تعالى في القيامة)) لم يخفَ على ذي فهم ونظر ولُب وتمييز أنه في وقت دون وقت، وفي قول موسى عليه السلام: أبين الدلالة على أنه يُرى في القيامة، ولو كان الله تعالى لا يُرى في حال من الأحوال، ولا يجوز عليه النظر ؛ لكان موسى εقد خَفي عليه من وصف الله تعالى ما علموه، ومن قال : بأن الله تعالى يدرك بالبصر يوم القيامة، فقد حدّه عندهم.

ومن كان الله تعالى عنده محدودًا فقد شبهه بالمخلوقين، ومن شبهه عند هم بالخلق فقد كفر، فما يقولون في موسى εفيما بين أن الله تعالى نبأه وكلّمه من ال شجرة إلى الوقت الذي قال له فيه: أيقضون عليه بأنه كان مشبّها لله محددًا، لا لعمر الله لا يجوز أن يجهل موسى عليه السلام من الله عز وجل مثل هذا، لو كان على تقديرهم، ولكن موسى εعلم أن الله تعالى يُرى يوم القيامة، فسأل الله عز وجل أن يجعل له في الدنيا ما أجله لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة، يعني في الدنيا، أعلمه أن الجبل لا يقوم لتجليه حتى يصير دكًّا، وأن الجبال إذا ضعفت عن احتمال ذلك فابن آدم أحرى أن يكون أضعف إلى أن

يعطيه الله تعالى يوم القيامة ما يقوَى به على النظر، ويكشف عن بصره الغطاء الذي كان في الدنيا، والتجلي هو الظهور، ومنه يقال : "جلوت العروس" إذا أبرزتها، و "جلوت المرآة والسيف" إذا أظهرتهما من الصدأ.

وأما قولهم: إن الرؤية في قوله : ((ترون ربكم يوم القيامة)) بمعنى العلم، كما قال تعالى: يريد ألم تعلم؛ فإنه يستحيل؛ لأنا نعلمه في الدنيا أيضًا، فأي فائدة في هذا الخبر إذا كان الأمر في يوم القيامة.

وفي الدنيا واحدا، وقرأت في الإنجيل أن المسيح عليه السلام حين فتح فاه بالوحي قال : " طوبى للذين يرحمون، فعليهم تكون الرحمة، طوبى للمخلصة قلوبهم، فإنهم الذين يرون الله -تبارك وتعالى-".

أليس في هذا القول دليل على أن الوجوه الناضرة التي هي إلى ربها ناظرة هي التي لا تحجب إذا حجبت هذه الوجوه؟

فإن قالوا لنا: كيف ذلك النظر والمنظور إليه؟

قلنا: نحن لا ننتهي في صفاته - جل جلاله- إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله ﷺولا ندفع ما صحَّ عنه؛ لأنه لا يقوم في أوهامنا ولا يستقيم على نظرنا، بل نؤمن بذلك من غير أن نقول فيه بكيفية أو حدّ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأتِ ، ونرجو أن يكون في ذلك من القول والعقد سبيل النجاة والتخلص من الأهواء كلها غدًا -إن شاء الله تعالى ". هذا كلام ابن قتيبة.

ومن الردود التي جاءت على استلالهم:

والملاحظ أن هذه الآية من أدلة نفاة الرؤية، إلا أن بعض المحققين يرى - ورأيه هو الصواب- أن الآية دلالتها على جواز الرؤية أوضح، بل لا تدل على امتناع الرؤية إلا بنوع من التكلف والتحريف؛ لأن الله تعالى ذكر هذا الخبر في سياق التمدّح.

ومن المعلوم بالضرورة وبالنظر السليم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، علمًا بأن العدم المحض ليس فيه مدح؛ لأنه ليس بكمال . وإنما يكون العدم مدحًا إذا إذا تضمن أمرًا وجوديًا، مثل تمدحه سبحانه بنفي السِّنَة والنوم، لأنه يتضمن كمال القَيّوميّة ونفي الموت؛ لأنه يتضمن كمال الحياة، وهكذا جميع الصفات السلبية التي تَمَدّح الله بها تتضمن أمرًا وجوديًا.

ففي هذه المسألة إنما تمدّح الله بعدم إدراك أبصار العباد، وإحاطتهم به لا بعدم الرؤية؛ لأنه لو كان لا يُرى لشارك سبحانه العدم وهو الذي لا يُرى، ومشاركة العدم ليست بكمال وليس فيها مدح، بل في ذلك من الانتقاص ما لا يدركه النفاة لجهلهم أو تجاهلهم.

وإذا كان من الواجب تنزيه الله عن مشاركة أي مخلوق موجود، ومشابهته فيما يختص به ذلك المخلوق، فكيف يستسيغ النفاة مشاركة الله للعدم الصرف في خصائصه، وهو عدم الرؤية؟

وقوله تعالى: إنما يدل على غاية عظمته، وهي أنه تعالى أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يُدرك ولا يُحاط به فإن الإد راك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية. ويشهد لما ذكرنا قوله تعالى حكاية للحوار الذي جرى بين موسى وقومه المؤمنين عندما رأوا فرعون وجنوده من مكان بعيد، ومعلومٌ من السياق أنه لم ينفِ الرؤية -وهي واقعة بالفعل- كما أنهم لم يريدوا بقولهم : إنا لمرئيُّون، ولكنهم كانوا قد خافوا أن هذا الجبار صارَ بمقربة منهم، حتى رأوه سيدركهم ويلحق بهم ويؤذيهم.

وهذا المعنى هو الذي نفاه موسى بقوله ، وقد وعده ربه سبحانه أنه لا يخاف درَكًا ولا يخشى.

ومما يذكره بعض أهل العلم بهذا الصدد، أن الرؤية والإدراك كلّ منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك. كما أنه يُعلَم ولا يُحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المشهود لهم بالإمامة، قال ابن عباس رضي الله عنه : "لا تحيط به الأبصار".

قال قتادة : " هو أعظم من أن تدركه الأبصار ". قال عطية العوفي ا لتابعي: "ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم "، ويعني: العوفي أن هذا معنى الآية وتفسيرها ، ولذلك قال -رحمه الله : " فالمؤمنون يرون ربهم - تبارك وتعالى- بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم بمعنى: أنها تحيط به سبحانه؛ إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئًا يحيط به. أما هو سبحانه بكل شيء محيط. وهكذا يُسمِعُ كلامه من شاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يَعلم الخلق ما علّمهم ولا يحيطون بعلمه".

قال الإمام ابن جرير الطبري عند تأويل هذه الآية : " اختلف أ هل التأويل في تأويل قوله تعالى؛ قال بعضهم: معناه لا تحيط به الأبصار، وهو يحيط بها سبحانه، وقال آخرون: لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا، وأما في الآخرة فإنها تدركه، وقال أهل هذه المقالة: الإدراك في هذا الموضع الرؤية. اهـ. والراجح هو القول الذي تشهد له الأحاديث؛ لأنها تعتبر تفسيرًا للآية، كما ه و معروف عند أهل العلم من السلف، وهو إثبات الرؤية في الآخرة دون الدنيا، وإن الإدراك المنفي أمرٌ زائد على مجرد الرؤية، وهو الإحاطة.

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق :شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م.
٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.
٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. الزركشى، بدر الدين الزركشى، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، المدينة المنورة، مكتبة الدار السلفية، ١٤٠٥هـ.
٦. بن منبه، همام بن منبه ، صحيفة همام بن منبه ، شرح وتحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.
٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري ، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم، ١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.